الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التعامل مع الإسرائيليات

أ.د. نذير حَمَّادُو

أستاذ بكلية الشريعة والاقتصاد

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

إنه لمن دواعي الغبطة والسّرور أن تنظم جمعية سيدي عبد الرحمن الثعالبي لترقية التراث، بمشاركة اللجنة الوطنية لليونسكو ووزارة الثقافة، وبمناسبة إعلان المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم للمئوية السادسة لتأسيس مدرسة الشيخ الثعالبي " قلب قصبة الجزائر ومركز إشعاع ثقافي في المغرب العربي"، ملتقى حول "الشيخ عبد الرحمن الثعالبي والإشعاع ثقافي لمدينة الجزائر: وقفة مع مساهمة إمام الجزائر في إثراء الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط" بالمكتبة الوطنية الجزائرية، يوم السبت 15 صفر 1437 هـ/ الموافق لـ 28 نوفمبر 2015م.

وإنه ليوم سعيد أن نجتمع في هذا المقام الكريم، لنتدارس معا الجوانب العلمية لِعَلَمٍ من أعلام التفسير والحديث والفقه والتصوف في بلادنا الجزائر. وإن محاضرتي في ملتقاكم الكريم هذا ستكون إن شاء الله تعالى حول جهود الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي- رحمه الله تعالى- في تنقية تفسير القرآن الكريم من الخرافات والإسرائيليات.

وقد اخترت عنوانا لمحاضرتي هو "التعريف بالشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التعامل مع الإسرائيليات من خلال تفسيره *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*". وقد قسمت محاضرتي هذه إلى ثلاثة محاور: *المحور الأول*

التعريف بالشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي؛ *المحور الثاني* نبذة تاريخية عن الإسرائيليات وكيف تسرَّبت إلى العرب وكُتب التفسير؛ *المحور الثالث* كيف تعامل الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي مع الإسرائيليات من خلال تفسيره *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*.

المحور الأول. التعريف بالشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري[1]، نسبة إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عمّ الرسول ﷺ.[2]

ولد الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي سنة 786 هـ/ 1385م[3] بناحية وادي يَسَّر على نحو ست وثمانين كيلو مترا (86 كلم) بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر، موطن آبائه وأجداده الثعالبة الذين كانوا حُكَّاماً على المغرب الأوسط الإسلامي، وهم أبناء ثعلب بن عليٍّ مِنْ عَرَبِ المعقل.

فنشأ نشأة عِلْمٍ، وصلاحٍ، وتقوى، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ علومه عَمَّنْ وجدَه من شيوخ المنطقة.

رحل الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي- كعادة طلبة العلم - في طلب العلم والاستزادة منه، فقصد أَوَّلاً بجاية "حاضرة العلم والعلماء والزهاد والأولياء"، فَنَزَلَ بها سنة 802 هـ/ 1399م، بقي فيها ما يقارب سبع سنوات، حيث لازم حضور

---

[1] – انظر ترجمته في *شجرة النور الزكية* 264/1-265، و*تعريف الخلف برجال السلف* للحفناوي 68/1-72، *تاريخ الجزائر العام* للشيخ عبد الرحمن الجيلالي 272/2، و*تاريخ الجزائر الثقافي* للأستاذ أبي القاسم سعد الله 91/1-93، و*معجم أعلام الجزائر* لعادل نويهض ص90-91.

[2] – انظر: جمهرة ابن حزم، ص 39، و*تاريخ* ابن خلدون 59/6-64، و*تاريخ الجزائر العام* للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، 272/2.

[3] – جعل الزركلي تاريخ ولادة الشيخ الثعالبي في الأعلام 131/2 سنة 736هـ، وهو خطأ، وذكر أستاذنا الدكتور عمار الطالبي تاريخا آخر هو 784 هـ أو 783هـ، أما ما ذكره صاحب شجرة النور الزكية والشيخ عبد الرحمن الجيلالي، والأستاذ عادل نويهض من أن تاريخ ولادته 786هـ / 1385م، فهو المعتمد في نظري.

مجالس أئمتها وفقهائها الكبار، فأخذ عنهم عِلْماً جَمًّا في الفقه، والأصول، والتفسير، والحديث، والقراءات[1].

وبعد تَلَقِّيهِ العلوم على أيدي هؤلاء الأكابر من علماء بجاية انتقل إلى تونس، حيث دخلها في أواخر سنة 809 هـ/ 1460م، وبداية سنة 810 هـ/1406م، ولَبِثَ فيها أزيد من تسع سنين، لقي بها جِلَّةً من أكابر العلماء كالإمام الأُبِّيّ، وكانت أكثر عمدته عليه، والبُرْزُلِي، وعيسى الغُبْرِينِي، وأبي يوسف يعقوب الزعبي، وغيرِهم، فأخذ عنهم وانتفع بهم[2].

انتقل بعدها الشيخ الثعالبي إلى المشرق حيث نزل بمصر سنة 817 هـ /1414م، أو بسنة قبلها، وعمره إحدى وثلاثون سنة، وتجوَّل في ديارها، حيث مكث بمدينة إسنا بصعيد مصر نحو سنة، ينهل المعارف من علمائها وشيوخِهَا[3].

ثم ارتحل من مصر إلى مدينة بورصة التركية[1]، فعرف الأتراكُ قدرَ الشيخ، فأقاموا له زاوية هي مَوْقُوفَةٌ ومُحَبَّسَةٌ عليه إلى الآن[2]. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الشيخ كان مَحْفُوفاً ببركة القَبول من المولى سبحانه وتعالى.

---

[1] من أبرز شيوخه في بجاية الشيخ أبو العباس أحمد النَّقَاوُسِي (ت 810 هـ/1407م)، الشيخ أبو مهدي عيسى اليَلِيلَتْنِي (ت 825 هـ/1422م)، الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم البِجَائِي (ت 840 هـ/1436م)، الشيخ أبو الربيع سليمان بن الحسن البُوزِيدِي الشريف التلمساني (ت 845 هـ/1442م)، الإمام أبو الحسن علي بن عثمان الزواوي المانجلاتي البجائي (كان حَيًّا في حدود 850 هـ/1446م).

[2] من أبرز شيوخه في تونس: الشيخ أبو مهدي عيسى بن أحمد الغُبْرِينِي (ت 813 هـ/1410م)، الشيخ أبو عبد الله محمد بن خَلَف بن عمر التونسي الوشتانيُّ الأُبِّيُّ، تلميذ ابن عرفة (ت 827 هـ/1424م)، الشيخ أبو يوسف يعقوب بن أبي القاسم الزعبي (ت 833 هـ/1430م)، الشيخ أبو القاسم بن أحمد البُرْزُلِي القيرواني تلميذ ابن عرفة (ت 841 هـ/1438م)، والشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ/1439م).

[3] شيوخه بمصر: الشيخ أبو عبد الله محمد بن عليّ بن جعفر البلالي العجلوني الشافعي (ت 820 هـ/1417م)، الشيخ ولي الدين، أبو زُرعة العراقي الشافعي (ت 826 هـ/1423م)، الشيخ أبو محمد عبد الله بن مسعود بن عليّ القرشي التونسي الشهير بابن القرشية(ت 827 هـ/1424م)، الشيخ أبو عبد الله، شمس الدين البِسَاطِيُّ (ت 842 هـ/1438م).

بعد تركيا يَمَّمَ أرض الحجاز، فأدى مناسك الحج، والتقى مع العلماء هناك فأخذ عنهم، وأجازوه، وكان من جملة ما سمعه وأخذه وهو بمكة المكرّمة شيء من موطأ الإمام مالك[3]. ولم يستبعد شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله أن يكون الشيخ الثعالبي قد زار أيضا بغداد ودمشق والقدس كما هي عادةُ الحجاج العلماء في وقته[4].

وبعد غياب طويل دام حوالي عشرين سنة، قَفَلَ راجعا إلى موطنه الأصلي، فَمَرَّ بمصر ثم تونس سنة 819 هـ/1416م، فوافى بها شيخَه العلامة أبا عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني (ت 842 هـ/1439م)، وكان مُتَّجِهاً إلى الحج، فلازمه، وأخذ عنه، وأجازه في تدريس العلوم الشرعية بإجازات ثلاثٍ، وَحَثَّهُ على التأليف[5].

عاد شيخ العلاَّمة الثعالبي في أواخر سنة (820 هـ/ 1417م) إلى أرض وطنه الجزائر بعدما غاب عنها حوالي عشرين سنة، عظيما في علمه وصلاحه، وقدوةً حسنة للمسلمين في اجتهاده وكَدِّهِ، مُعْتَكِفاً على نشر العلم، وهداية الناس، والانقطاع للعبادة والتأليف، فكتب الله له القَبول والبركة في علمه؛ فتخرَّج على يده أئمة أعلام منهم: الشيخ سيدي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الله الزَّوَاوِيُّ (ت 884 هـ/1479م)؛ حجة علماء الكلام الإمام العالم العلامة سيدي محمد بن يوسف السنوسي الحسني التلمساني (ت 895هـ/1489م)؛الإمام أبو الحسن عليّ بن محمد التالوتي الأنصاري (ت 895 هـ/1489م)، أخو الشيخ السَّنُوسِي لأُمِّهِ؛الشيخ العلاَّمة أبو العباس أحمد زَرُّوق (ت 899 هـ/1494م)؛ الإمام

---

[1] انتقل الشيخ الثعالبي في مركب على النيل للرحلة في طلب العلم والحديث، فهو بهذا مِنَ العلماء الرَّحَّالةِ في نيل العلم ولقاء العلماء، والأخذِ عنهم، وخاصَّةً الرِّحلة لطلب الحديث النبوي الشريف؛ لذلك نجد الشيخ ابن زكري محمد بن سعيد بن أحمد مفتي المالكية، والمدَرِّس في القسم العالي من المدرسة الثعالبية يصفه بأنه "رحالة زمانه لرواية الحديث".

[2] انظر: تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي 272/2.

[3] انظر: رحلة عبد الرحمن الثعالبي ص 110.

[4] تاريخ الجزائر الثقافي للأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله 92/1.

[5] انظر مقدمة جواهر الحسان 5/1، وتاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجلالي 272/2.

أبو عبد الله، محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف (ت 901 هـ/1495م)؛ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد الْمَغِيلِي التلمساني (ت 909هـ/1503م). وغيرُهم من الأئمة الأعلام.

عكف الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي على التدوين والتأليف، وهَمُّهُ من ذلك خدمةُ الشريعة الإسلامية المطهرة، وله في ذلك اليد الطُّولى. فلقد ترك ما يَرْبُو على التسعين مؤلفا بين رسائل، وشروح وحواشي وتعاليق، وكُتُبٍ مُسْتَقِلَّةٍ في الوعظ، والرَّقَائِقِ، والتَّذْكِيرِ، والتفسير، والفقه، والحديث، واللغة، والتراجم والتاريخ. وأعظم كُتُبِهِ باعترافه *روضة الأنوار ونزهة الأخيار*، *والجواهر الحسان في تفسير القرآن*، حيث قال:" فمن حصل كتابي هذا- أي *روضة الأنوار ونزهة الأخيار*- مع كتابي في التفسير *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، فقد حصل خزانة من العلم عظيمة، لا يُقَدَّرُ قَدْرُهَا"[1].

وقد رُزِقَ الشيخُ الثعالبي السعدَ في تصانيفه، فشرِّقت وغرِّبت، واعْتُنِيَ بدرسها وتدريسها، وانتفع الناس بها. قال الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الجليل السنجاسني تلميذُ الشيخ الثعالبي:

"وإنّ عادة الله في أهل العلم الْمُصَنِّفِينَ أن تظهر تصانيفُهم بعد وفاتهم على حسب الميراث، وإنّ في شيخنا هذا وتآليفه لَسِرًّا بديعاً، وأمراً رفيعاً، ولقد ظهرتْ تآليفه في حياته، وسارت بها الرُّكْبَانُ في الآفاق مع وجوده، وما ذلك إلا لِسِرٍّ أودعه الله فيه، ولم يُطْلِعْ عليه أحداً من خَلْقِهِ، مع صدقِ نِيَّتِهِ، وقصدِ النفع لعباد الله وَأُمَّةِ رسوله ﷺ، وربما يكون في أثناء تصانيفه والنّاس يختطفونه من يده، ويتتبَّعونه بالنسخ، حتى ربما أدركه النُّسَّاخُ قبل أن يستكمل الكرّاس فينتظرونه، سِرٌّ إلهي لم يتسنَّ لمن سبقه كالغزالي وغيره من أئمة الهدى على علوّ قدرهم، فأحرى أن يتسنى لمن بعدهم. جزاه الله عن المسلمين خيرا، ونفعنا به، وأعاد علينا من بركاتِهِ"[2].

---

[1] انظر: *شجرة النور الزكية* 264/1، *تاريخ الجزائر العام* للشيخ عبد الرحمن الجيلالي 274/2.

[2] نقلا عن تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي 275/2.

لم يزل الشيخ الثعالبي ﷺ عاكفاً على العِلْم مُعَلِّماً ومُؤَلِّفاً، وعلى طاعة الله مُتَجَرِّداً عن شهوات الدنيا وملذاتها ومغرياتها، إلى أن وافاه أجله ضحوة يوم الجمعة المبارك 23 رمضان المعظم سنة 875 هـ / منتصف شهر مارس 1470م. حُمِلَ جثمانه الطاهر رحمه الله تعالى من بيته القريب من الجامع الأعظم[1]، ودُفن بالمقبرة المعروفة بـ"جَبَّانَةِ الطُّلْبَةِ"، والتي تقع في ربوة خارج باب الوادي، وصارت تُعرف بعد دفنه فيها إلى يوم الناس هذا بمقبرة سيدي عبد الرحمن، حيث ضَرِيحُهُ الشهير به إلى اليوم بالعاصمة قدس الله روحه[2].

ورحيلُ الشيخ ترك أثراً عميقاً في قلوب العامَّة والخاصَّة، وحُزْناً عظيما في نفوس طلبته ومُحِبِّيه، وقد رثاه تلميذه سيدي أحمد بن عبد الله الزَّوَاوِي بقصيدة [من الطويل] مطلعها[3]:

لَقَدْ جَزَعَتْ نَفْسِي لِفَقْدِ أَحِبَّتِي وَحُقَّ لَهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ تَجْزَعُ
أَلَمَّ بِنَا مَا لاَ نُطِيقُ دِفَاعَهُ وَلَيْسَ لأَمْرِ قَدَرِ اللهِ مَرْجِعُ

وكُتِبَ عند ضريحه رحمه الله تعالى بيتان مما يُنْسَبُ إليه:

إِنَّ الْجَزَائِرَ فِي أَحْوَالِهَا عَجَبُ لاَ يَدُومُ بِهَا لِلنَّاسِ مَكْرُوهُ
مَا حَلَّ عُسْرٌ بِهَا أَوْ ضَاقَ مُتَّسَعٌ إِلاَّ يُسْرٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَتْلُوهُ

وهكذا انتهتْ حياةُ رَجُلٍ عظيم كانت حافلةً بالنشاط في خدمة الشريعة الإسلامية، لتبدأ حياةٌ من نوع آخر، حياةُ آثارِهِ العِلْمِيَّةِ التي خَلَّفَهَا في مختلف الفنون

---

[1] قال الدكتور محمد بن عبد الكريم في تحقيقه لكتاب *التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية* لمحمود بن ميمون الجزائري (ص 337) الملحق الثالث:"يوجد هذا الْمَنْزِل بنهج قريب من المسجد الأعظم، ولَمَّا احتلَّت فرنسا الجزائر أخذ هذا النهج اسم " نهج لَشَارْت Rue de la charte " رقم (2)، وذلك سنة 1854م، بعدما كان يحمل رقمي (54)، و (60)".

[2] انظر: *تاريخ الجزائر العام* للشيخ عبد الرحمن الجيلالي 275/2، *والتحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية* لمحمود بن ميمون الجزائري، ص. 337.

[3] القصيدة من تسع وثلاثين (39) بيتا، راجعها في: كتاب: تعريف الخلَف برجال السَّلَف للشيخ محمد الحفناوي 531/1- 533، في ترجمة: سيدي أحمد بن عبد الله الزواوي تلميذ الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

والعلوم، تنتظر أبناء هذا الوطن العزيز الأوفياء كي يحققوها التحقيق العلمي وينشروها، حتى ينتفع بها أهلُ العلم وطلبته.

المحور الثاني. نبذة تاريخية عن الإسرائيليات

الإسرائيليات يُقصد بها تلك الأخبار التي نقلها مَسْلَمَةُ أهل الكتاب، والمتعلِّقة بأخبار بدء الْخَلِيقَةِ، وقَصَص الأُمَم السابقة، ولا علاقة لها بأصول الدِّين، والحلال والحرام، وأحكام الشريعةِ[1]. ولْنَنْسَح الْمَجَالَ لشيخ المؤرخين العلاَّمة عبد الرحمن بن خلدون يحدِّثنا عن الإسرائيليات، وكيف تسربت إلى العرب وبعدها إلى كتب التفسير في معرض كلامه عن التفسير بالمأثور؛ قال رحمه الله:

"وقد جمع المتقدِّمون في ذلك وأَوْعَوْا، إلاَّ أن كتبَهم ومنقولاتِهم تشمل على الغثِّ والسمين، والمقبول والمردود، والسببُ في ذلك أن العرب لم يكونوا أهلَ كتاب ولا علم، وإنّما غلبت عليهم البداوةُ والأُمِّيَّةُ، فإذا تشوَّقوا إلى معرفة شيء ممّا تتشوَّق إليه النفوس البشرية في أسباب المكوَّناتِ، وبدءِ الْخَلِيقةِ، وأسرارِ الوجودِ، فإنّما يسألون عنه أهلَ الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومَنْ تبع دينَهم من النصارى. وأهلُ التوراة الذين بين العرب يومئذ باديةٌ مثلُهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفُهُ العامَّةُ من أهل الكتاب، ومعظمُهم من حِمْيَرَ الذين أخذوا بدين اليهودية، فلمّا أسلموا بَقَوْا على ما كان عندهم مما لا تعلُّق له بالأحكام الشرعيَّة التي يحتاطون لها مثل: أخبارِ بدءِ الْخَلِيقَةِ، وما يرجعُ إلى الْحِدْثَانِ والملاحم، وأمثال ذلك. وهؤلاء مثلُ: كعبِ الأحبار، ووهبِ بنِ مُنَبِّهٍ، وعبدِ الله بنِ سلام وأمثالِهم، فامتلأَتِ التفاسيرُ من المنقولاتِ عندهم، في أمثال هذه الأغراض، أخبارًا مَوْقُوفَةً عليهم، وليست مما يُرْجَعُ إلى الأحكام، فَيُتَحَرَّى في الصحّة التي يجبُ بها العملُ. وتَساهل المفسرون في مثل ذلك، وملأوا كتبَ التفسير بهذه المنقولات، وأصلها - كما قلنا - عن أهل التوراة الذين يسكنون

[1] انظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي 121/1 فما بعدها، ومباحث في علوم القرآن للشيخ منّاع القطّان ص 364.

البادية، ولا تحقيقَ عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُدَ صيتُهم وعَظُمَتْ أقدارُهم لِمَا كانوا عليه من المقاماتِ في الدِّين والْمِلَّةِ، فَتُلُقِّيَتْ بالقَبول من يومئذ، فلما رجع الناسُ إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد بنُ عَطِيَّةَ من المتأخرين بالمغرب، فَلَخَّصَ تلك التفاسيرَ كلَّها، وتَحَرَّى ما هو أقربُ إلى الصحّة منها، ووضع ذلك في كتاب مُتَدَاوَلٍ بين أهل المغرب والأندلس، حَسَنِ المنحى، وتبعه القرطبيُّ في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق"[1].

فابنُ خلدون أرجع الأمر إلى اعتبارات اجتماعية وأخرى دينية؛ فَعَدَّ من الاعتبارات الاجتماعية غلبةَ البداوة والأُمِّيَّة على العرب، وتشوُّقَهم لمعرفة ما تتشوّق إليه النفوس البشرية من أسباب المكوّنات وبدء الْخَلِيقَةِ، وأسرار الوجود، وهُمْ في ذلك إنما يسألون أهل الكتاب قبلهم، الذين هم باديةٌ مثلُهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفُهُ العامَّةُ من أهل الكتاب. وَعَدَّ من الاعتبارات الدينية التي سوَّغت لهم تلقي المرويات الإسرائيلية في تساهل، وعدم تحرٍّ للصحة، لأنّ مثل هذه المرويات ليست مما يُرْجَعُ إلى الأحكام، فَيُتَحَرَّى في الصحة التي يجبُ بها العملُ. زد على ذلك فهو يُشَكِّكُ في قدرة وكفاءة أهل التوراة الذين نُقِلَتْ عنهم تلك الروايات، وأن تلك الروايات لا أساس لها من الصحة.

وقد تَعَرَّضَ المحقِّقُونَ من علماء الحديث لنقد هذه الإسرائيليات إجمالا. فالإمام أحمد ﷺ يقول: "ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحِم، والمغازي"؛ لأن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحيحة متصلة، وإنما هي مُنْقَطِعَاتُ أو مَرَاسِيلُ، وقد تَحَمَّلَ بعض الصحابة والتابعين هذه الإسرائيليات عن مَسْلَمَةِ أهل الكتاب ورووها لِيُعْلَمَ ما فيها، ولم يُنَبِّهُوا على كذبها؛ اعتمادا على ظهور كذبها ووضوحه، فإذا وجدتَ بعض هذه الإسرائيليات الباطلة مرويا عن بعض الصحابة الكرام كابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، فلا تَغْتَرَّ بها، ولا تظنّ أن لها أصلا في ديننا، وإنّما أمرها أنها معارف أهل الكتاب الذين أسلموا، حَمَلَهَا عنهم بعضُ الصحابة والتابعين بِحُسْنِ نِيَّةٍ. ولقد كان أئمة الحديث ونُقَّادُهُ على حق حينما قالوا: "إن كلام

[1] انظر *تاريخ* العلامة ابن خلدون 2/786-787. بحث *التفسير بالمأثور*.

الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع، بشرط أن لا يكون هذا الصحابي معروفا بالأخذ عن أهل الكتاب، ورواية الإسرائيليات، فإن كان معروفا بذلك فليس لها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ قطعا".

ومن ثَمَّ يتبين لنا جليا أن هذه الإسرائيليات التي تُرْوَى في أخبار الأنبياء والأمم الماضية لا يمكن أن تكون مصدرا لثقافتنا الإسلامية؛ لأنّها لا تَمُتُّ إلى الإسلام بصلة، ولا سَنَدُهَا متصلا إلى نَبِيِّنَا المعصوم ﷺ، وإنما هي إسرائيليات[1].

المحور الثالث: كيف تعامل الشيخ الثعالبي مع الإسرائيليات ؟

سلك الشيخ الثعالبي في تفسيره *الجواهر الحسان في تفسير القرآن* منهجا تاريخيا يقوم على تحقيق النّصوص ونقدها، وهذا المنهج هو أساس التفسير بالمأثور الذي اختاره شيخنا الثعالبي لنفسه، وبهذا المنهج الأصيل الذي ورثه من المفسرين المغاربة كالقاضي أبي بكر بن العربي (ت 543هـ/1148م)، والقاضي عياض (ت 544 هـ/1149م)، وعمدةِ المتأخرين أبي محمدٍ بنِ عَطِيَّةَ (ت 546 هـ/1151م)، – الذي يُعتبر تفسيره المادة الأولى لتفسير الشيخ الثعالبي[2]- نقد الإسرائيليات نقدا علميا في عدة مواضع من تفسيره والتي قال عنها : "الإسرائيليات التي ليس لها ثبات، ولا يُعَوِّل عليها من له قَلْبٌ"[3].

لنذكر بعض النماذج من نقده للإسرائيليات:

قال في تفسير قوله تعالى: {**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ**} (البقرة: 33)؛ "وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال: بلغني أن أول معصيةٍ كانتِ الحسد، والكِبْر، والشُّحّ. حَسَدَ إبليسُ آدمَ، وتَكَبَّرَ، وشَحَّ آدم في أكله من شجرة قد نهي عن قربها". علّق الشيخ على هذه الرواية بقوله :"إطلاق الشُّحّ على آدم، فيه ما لا يخفى عليك، والواجبُ اعتقادُ تَنْزِيهِ الأنبياء عن كل ما يَحُطُّ من رتبتهم، وقد قال الله تعالى في حق آدم: {**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**} (طه: 112)"[4].

---

[1] انظر: *الوسيط في علوم ومصطلح الحديث* للدكتور الشيخ محمد بن محمد أبي شهبة ص 345-346.

[2] انظر: *الجواهر الحسان* 8/1، و*تاريخ* ابن خلدون 786/2-787، و*شجرة النور الزكية* 265/1.

[3] *الجواهر الحسان* 1/ك، مقدمة المحقق.

[4] الجواهر الحسان 67/1.

وقال في تفسير قوله تعالى: {**وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**} (البقرة: 101): "وما يُذْكَرُ في قصتهما مع الزهرة كُلُّهُ ضعيف"، ثم تبنّى الشيخ الثعالبي نقد القاضي عياض ونقل نصه :

"وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن عليٍ وابن عباس ﷺ في خبرهما وابتلائهما، فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يُرْوَ منها سقيمٌ ولا صحيحٌ عن رسول الله ﷺ، وليس هو شيئا يؤخذ بقياس، والذي منه في القرآن، اختلف المفسرون في معناه، وأَنْكَرَ ما قال بعضُهم فيه كثيرٌ من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم، كما نص الله أول الآيات. انتهى"[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: {**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**} (هود: 46): "وقول مَنْ قال: إن الولد كان لَغْيَةً ابن زنا خطأ محض". ثم قال: "وأما قوله تعالى: {**فَخَانَتَاهُمَا**} (التحريم: 10)؛ فإنّ الواحدةَ كانت تقولُ للناس هو مجنونٌ، والأخرى كانت تُنَبِّهُ على الأضياف، وأما خيانةُ غير هذا فلاَ"[2].

وقال في تفسير قوله تعالى: {**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**} (يوسف: 24):

"والذي أقول به في هذه الآية: إن كون يوسف عليه السلام نَبِيًّا في وقت هذه النازلة لم يصحّ، ولا تظاهرت به رواية، فإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حُكْماً وعِلْماً، ويجوز عليه الْهَمُّ الذي هو إرادة الشيء دون مُوَاقَعَتِهِ، وأن يَسْتَصْحِبَ الخاطرَ الرديءَ على ما في ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نَبِيًّا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الْهَمُّ الذي هو الخاطر، ولا يصحّ عندي شيء مما ذُكِرَ من حَلِّ تِكَّةٍ[3] ونحو ذلك؛ لأن العصمةَ مع النبوءَةِ، ولِلْهَمِّ بالشيء مرتبتان: فالخاطر المجرد

---

[1] الجواهر الحسان 117/1-118.

[2] الجواهر الحسان 281/2.

[3] رِبَاطُ السِّرْوَالِ. انظر المعجم الوسيط 86/1. لمجمع اللغة العربية بمصر.

دون استصحاب يجوز عليه، ومع استصحاب لا يجوز عليه؛ إذ الإجماع منعقدٌ: أن الْهَمَّ بالمعصية واستصحابَ التلذذ بها غيرُ جائز، ولا داخل في التجاوز"[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: {**إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**} (طه: 12): "واخْتُلِفَ في السبب الذي من أَجْلِهِ أُمِرَ بِخَلْعِ النَّعْلَيْنِ، فقالت فرقة: كانا من جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ؛ فَأُمِرَ بطرح النجاسة، وقالت فِرقة: بل كانت نَعْلاَهُ من جلد بقرة ذَكِيٍّ، لكن أُمِرَ بخلعها؛ لينال بركة الوادي المقدس، وتمسّ قدماه تربة الوادي". تعقّب الشيخ هذين القولين بقوله :"وتحتمل الآية معنى آخر، هو الأليق بها عندي، وهو أن الله تبارك وتعالى أمره أن يتأدّب ويتواضع لِعِظَم الحال التي حصل فيها، والعُرْفُ عند الملوك أن تُخْلَعَ النعلان، ويبلغَ الإنسانُ إلى غاية تواضعه، فكان موسى عليه السلام أُمِرَ بذلك على هذا الوجه، ولا نبالي كيف نَعْلاَهُ من مَيْتَةٍ أو غَيْرِهَا"[2].

وقال في تفسير قوله تعالى : {**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**} (طه: 121): "وقيل: نَسِيَ ولَمْ يَنْوِ المخالفة؛ فلذلك قال تعالى: {**وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**} (طه: 115). أي: قصدا للمخالفة. وقيل: غير هذا *مما لا أرى ذكره هنا*، ولله در ابن العربي حيث قال: يجب تَنْزِيهُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عمّا نَسَبَ إليهم الجهّال"[3].

وقال في تفسير قوله تعالى: {**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**}(النمل: 20): "قال عبد الله بن سلام[4]: إنما طَلَبَ الهدهدَ لأنه احتاج إلى معرفة الماء على كَمْ هو مِنْ وجه الأرض؛ لأنّه نزل بِمَفَازَةٍ عُدِمَ فيها الماء، وأن الهدهد كان يرى باطن الأرض وظاهرها، فكان يُخْبِرُ سليمانَ بموضع الماء، ثم

---

[1] الجواهر الحسان 315/2.

[2] الجواهر الحسان 39/3.

[3] الجواهر الحسان 65/3.

[4] هو أبو يوسف، عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري، وهو مِن وَلَدِ يوسف بن يعقوب عليهما السلام، أسلم عند قدوم النبي ρ المدينة، وروى البخاري في صحيحه قصة إسلامه كاملة، وأفرد له بابا مستقلا في مناقبه عند الكلام عن مناقب الأنصار، وشهد مع سيدنا عمر رضي الله عنه فتح بيت المقدس والجابية، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة 43 هـ. انظر ترجمته في: أُسد الغابة لابن الأثير 176/3-177، وتهذيب التهذيب لابن حجر 249/5.

كانت الْجِنُّ تُخْرِجُهُ في ساعة". ثم قال بعد هذه الرواية الإسرائيلية:"والله أعلم بما صَحَّ من ذلك"[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: **{وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}** (النمل: 20): "وأَكْثَرَ بعضُ الناس في قَصَصِهَا بما رأيتُ اختصاره لعدم صحته، وإنّما اللازمُ من الآية أنها امرأةٌ مَلِكَةٌ على مدائن اليمن، ذات ملك عظيم، وكانت كافرة من قوم كافرين"[2].

وقال في تفسير قوله تعالى: **{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ}** (ص: 34): "اعلم رحمك الله أن الناس قد أكثروا في قصص هذه الآية بما لا يُوقَفُ على صحته". ثم ذكر الشيخ أن الثعلبي المفسِّرَ حكى بعض الروايات في تفسير هذه الآية الكريمة فلم يرض بها، وبعدها ساق كلام القاضي عياض حيث قال:

"قوله تعالى: **{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ}** (ص: 34) معناه: ابتليناه، وابتلاؤه هو: ما حُكِيَ في الصحيح أنه قال: **"لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ كُلُّهُنَّ يَأْتِينَ بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلاَّ امْرَأَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ"**[3]. قال أصحاب المعاني: والشِّقُ: هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عُرِضَ، وهي كانت عقوبتَه ومحنتَه، وقيل: بل مات وأُلقيَ على كرسيه ميتا، وأمّا عدمُ استثنائِهِ فأحسنُ الأجوبةِ عنه: ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقول: إن شاء الله، ولا يصحّ ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلُّطِهِ على مُلْكِهِ، وتصرُّفِهِ في أُمَّتِهِ؛ لأن الشياطين لا يُسَلَّطُونَ على مثل هذا، وقد عُصِمَ الأنبياءُ من مثله"[4].

---

[1] الجواهر الحسان 250/3.

[2] الجواهر الحسان 251/3.

[3] الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب :من طلب الولد للجهاد، رقم الحديث 2819، ص 575.

[4] الجواهر الحسان 57/4.

ثم نقل كلامَ ابنِ العربي الذي هاجم فيه تلك القصّة الإسرائيلية هجوم الأَحْوَذِيّ بمنهج علمي؛ ليقطع لسان كل مُفْتَرٍي، ويُبَيّنُ أن العصمة ثابتة لكل رسول ونبيّ، حيث قال في *أحكام القرآن*[1]:

"وما ذكره بعض المفسرين من أن الشيطان أخذ خَاتَمَهُ، وجلس مَجْلِسَهُ، وحكم الْخَلْقَ على لسانه، قولٌ باطلٌ قطعا؛ لأن الشياطين لا يَتَصَوّرُونَ بصور الأنبياء، ولا يُمَكّنُونَ مِنْ ذلك؛ حتى يَظُنَّ الناسُ أنهم مع نبيّهم في حق، وهُمْ مع الشياطين في باطل، ولو شاء ربك لوهب من المعرفة والدّين لمن قال هذا القول، ما يَزَعُهُ عن ذِكْرِهِ، ويمنعه من أن يُسَطّرَهُ في ديوانٍ مِنْ بَعْدِهِ"[2].

* * *

ممّا تقدّم اتضح منهج الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي في المرويات الإسرائيلية، حيث رفض الإسرائيليات التي لا تقوم على سند صحيح واعْتَبَرَهَا ضَرْباً من الخيالات وَضَرْباً من الأوهام؛ فهي داحضة لأن أصلها لَحِقَهُ التحريف والتبديل. وانطلاقا من هذه الحقيقة رَدّهَا، وأنكرها، وتعقّبَهَا، وحَذّرَ منها، وفَنّدَ مزاعِمَها على ضوء الدليل النقلي والعقلي، وَلاَمَ بعضَ المفسرين الذين شَحَنُوا تفاسيرَهم بها.

وحَرِيٌّ بنا في نهاية هذه الجولة مع الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي أن نُذَكّرَ بِوَصِيّةِ المحقق النّحْرِير، المدقّقِ القاضِي ابنِ العربي الذي تَبَنّى شيخُنَا الثعالبي كثيرا من آرائه في التفسير التي أثارت إعجاب المحققين من المفسرين فسجّلوها في أبحاثهم؛ لتكون مَعْلَماً يهتدي به من أراد الوقوفَ على حقيقةِ الإسرائيلياتِ، وأهدافِها وغاياتِها. يقول بعد رد الروايات الإسرائيلية الواردة في حق سيدنا أيوب عليه السلام، ولم يَصِحَّ عن أيوب عليه السلام في أمره إلا ما أخبر الله تعالى عنه في آيتين، في قوله تعالى : {**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ**

---

[1] نقل الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي كلام القاضي ابن العربي بشيء من التصرُّفِ. وانظر: أحكام القرآن لابن العربي 1650/4.

[2] الجواهر الحسان 57/4.

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (الأنبياء: 83)، والثانية: **{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ}** (ص: 41) : "وأما النَّبِيُّ ﷺ فلم يَصِحَّ عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: **"بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى! قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ"**[1]. وإذا لم يصحَّ فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرنا، فَمَن الذي يُوصِل السامِعَ إلى أيوب خَبَرَهُ؟ أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فَأَعْرِضْ عن سطورها بَصَرَكَ، وأَصِمَّ عن سماعِها أذنَيْكَ؛ فإنها لا تعطي فكرَك إلا خَيَالاً. ولا تزيد فؤادَك إلا خَبَالاً"[2].

المصادر والمراجع

- **أحكام القرآن:** للقاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق محمد علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، لبنان.
- **الأعلام:** للأستاذ خير الدين الزركلي، الطبعة الثامنة سنة 1989م، دار العلم للملايين.
- **تاريخ الجزائر العام:** للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، الطبعة السادسة سنة 1403هـ/1989م، دار الثقافة- بيروت، لبنان.
- **تاريخ الجزائر الثقافي:** للأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله، الطبعة الأولى 1998م، دار الغرب الإسلامي.
- **تاريخ العلاَّمة ابن خلدون:** طبعة سنة 1967م، دار الكتاب اللبناني - بيروت، لبنان.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في كتاب *أحاديث الأنبياء*، باب *قول الله تعالى* ***﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾***، رقم الحديث 3391، ص. 690.

[2] انظر *أحكام القرآن* لابن العربي 1636/4، *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي 15/ 215، *والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير* لـ. د.محمد أبي شهبة ص 393.

- **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية** : لمحمود بن ميمون الجزائري، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، الطبعة الأولى 1392 هـ/1972م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر.
- **تعريف الخلَف برجال السَّلَف:** للشيخ محمد الحفناوي، دراسة وتحقيق الدكتور خير الدين شترة، الطبعة الأولى 1433 هـ/2012م، دار كردادة للنشر والتوزيع- بوسعادة- الجزائر.
- **التفسير والمفسرون:** للدكتور محمد حسين الذهبي، طبعة 1424 هـ/2004م، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية.
- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن:** الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق الدكتور عمّار الطالبي، طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر.
- **رحلة عبد الرحمن الثعالبي:** منشورة في آخر كتاب:" **غَنِيمَةُ الوَافِدِ وَبُغْيَةُ الطالِبِ الماجِدِ** ": لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق محمد شايب شريف، الطبعة الأولى 1426هـ/ 2005م، دار ابن حزم- بيروت، لبنان.
- **سُنَن أبي داود**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن عبد حسن آل سلمان.
- **سُنَن الترمذي**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن عبد حسن آل سلمان.
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية:** للشيخ محمد بن محمد مخلوف، طبعة جديدة بالأوفست عن الطبعة الأولى سنة 1349 هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها- دار الفكر العربي- بيروت، لبنان.
- **صحيح البخاري:** طبعة دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى سنة 1425 هـ/2004م تحقيق وتخريج أحمد زهوة وأحمد عناية.
- **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر:** للأستاذ نور الدين عبد القادر (د.ت. ط)
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:** للحافظ شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، - بيروت، لبنان.

- **غَنِيمَةُ الوَافِدِ وبُغْيَةُ الطَالِبِ الْمَاجِدِ:** للإمام سيدي عبد الرحمن الثعالبي، حقّقه الأستاذ محمد شايب شريف، طبع سنة 2011م طبعة خاصة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ضمن مجموعة من كتب الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع – الجزائر.
- **فهرس الفهارس:** للكتاني الحسني، المطبعة الجديدة بالطالعة، عدد 11، سنة 1347 هـ
- **مباحث في علوم القرآن:** للشيخ منّاع القطّان، الطبعة الثالثة 1421 هـ/2000م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.
- **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين:** للأستاذ عادل نويهض، الطبعة الثانية 1403 هـ/1983م مؤسسة عادل نويهض للتأليف والترجمة والنشر- بيروت، لبنان.
- **معجم المؤلفين:** للأستاذ عمر رضا كحالة، اعتنى به وجمعه وأخرجه: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1414 هـ/1993م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، لبنان.
- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج:** للشيخ أحمد بابا التنبكتي، وضع هوامشه وفهارسه مجموعة من طلبة كلية الدعوة الإسلامية، بإشراف وتقديم الأستاذ: عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الأولى سنة 1398 هـ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا.
- **الوسيط في علوم ومصطلح الحديث:** للدكتور محمد بن محمد أبي شهبة، الطبعة الأولى 1403هـ/1983م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع- جدة.